

اجتهادات الحريات والمُقدسات

يحق للإنسان أن يفكر بلا حدود، ودون سقف. التفكير عملية ذاتية تحدث في عقل الإنسان، ويُحاور خلالها نفسه. ولكن عندما ينتقل من التفكير إلى التعبير عما يفكر به، عليه ألا ينسى أنه ليس وحده في المجتمع الذي يعيش فيه. فالتعبير مسألة موضوعية تتجاوز الذات. وهذا هو الأساس الذي قام عليه الحق في التعبير، منذ أن صار جزءًا من منظومة حريات عامة وخاصة اعترُف بها تدريجيًا منذ القرن الثامن عشر، بعد أن كافح في سبيلها من آمنوا بها عبر التاريخ.

ويختلف مفهوم احترام حقوق الآخرين عما تسمى أخلاقًا عامةً مفترضة، أو مُتخيلا أن لها وجودًا موضوعيًا، برغم أن تحديد المقصود بها يختلف من شخص إلى آخر في كل مجتمع. التعبير أو السلوك الذي يراه شخص جزءًا من هذه الأخلاق، قد لا يُعده آخر مرتبطًا بها⁰.

أما حق الآخر الذي تنتهي عنده حرية التعبير فهو ما يتصل بعقيدته التي يؤمن بها، مثلما يرتبط بكرامته وأمنه⁰ ويشمل ذلك بطبيعة الحال العقائد الدينية التي يتعين توفير الحماية لها بمقدار مساوٍ لضمان حرية التعبير.

والفكرة، هنا، أن حرية التعبير تتحرف عن المسار الذي يجعلها ضرورةً للتقدم حين تُلحق أذى أو ضررًا بالآخر⁰ والضرر الناتج عن المساس بالمقدسات الدينية لا يقل عن الأذى المترتب على سب أو قذف أو تجريح أو إهانة أو حض على الكراهية والعنف أو دعوة إلى التمييز.

ومادام التعبير المتضمن ما يُعد سبًا أو قذفًا أو تجريحًا أو إهانة أو تمييزًا محظورًا ومُجرّمًا في مختلف البلدان بأشكال مُتعدّدة، يتعين أيضًا منع المساس بالعقائد والمقدسات الدينية وتجريمه. فلا يُعقل مثلاً أن تكون إهانة أنبياء مباحةً، في الوقت الذي يُحظر إهانة أى شخص

وغنى عن الذكر أن الإهانة تختلف عن التحليل العلمى الموضوعى لتاريخ الأديان سعيًا إلى المعرفة وفق القواعد الأكاديمية، ذلك أن حماية العقائد والمُقدسات هى مسألة تنظيم لا تهدف، وينبغى ألا تؤدي، إلى تقييد حرية التعبير. وتُثير هذه المسألة سؤالاً عن العلاقة بين الفرد والمجتمع تبقى معه غداً.